محمد عطية الإبراشي

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قِصَّةُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ

بُنَيَّ العَزِيز :

سَأَذْكُرُ لَكَ الآنَ قِصَّةَ أَعْظَمِ خَلِيفَةٍ في بَنِي أُمَيَّةَ ، وَهُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ ، خامِسُ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ .

أَبُوهُ وَأُمُّهُ :

أَبُوهُ هُوَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ ، وَأُمُّهُ لَيْلَى بِنْتُ عاصِمِ بْنِ سَيِّدِنا عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . فَجَدُّهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ .

وَقَدْ تَعْجَبُ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّهُ وُلِدَ بِحُلْوانَ ـ وَهِىَ ضَاحِيَةٌ مِنْ ضَوَاحِى القَاهِرَةِ ـ سَنَةَ ٦١ لِلْهِجْرَةِ ، وَلِهٰذَا نَعُدُّهُ مِصْرِيًّا مِنَ المِصْرِيِّينَ ، وَإِنْ كانَ عَرَبِىَّ الأَصْلِ .

تَرْبِيَتُهُ :

تَرَبَّى عُمَرُ تَرْبِيَةَ عِزٍّ وَكَرَمٍ ؛ لِأَنَّ أَبَاهُ عَبْدَ العَزِيزِ بْنَ مَرْوَانَ كانَ حاكِمًا لِمِصْرَ ، وَقَدْ عُنِىَ بِتَرْبِيَتِهِ كُلَّ العِنَايَةِ مِنَ الصِّغَرِ . وَأَحْضَرَ لَهُ مَنْ عَلَّمَهُ القِرَاءَةَ وَالكِتابَةَ وَالدِّيَانَةَ ، وَلَمَّا كَبِرَ أَرْسَلَهُ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ لِيُتِمَّ تَعْلِيمَهُ بِهَا . فَأَخَذَ العِلْمَ مِنْ أَكْبَرِ العُلَماءِ .

وَقَدْ تَأَثَّرَ بِمَا تَعَلَّمَ وَمَا حَفِظَ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ ، وَمَا دَرَسَ مِنَ الأَحادِيثِ النَّبَوِيَّةِ ، وَالدِّينِ الإِسْلامِىِّ .

وَصارَ عالِمًا مُؤْمِنًا إِيمَانًا صَادِقًا .

وَكَانَ يُشْبِهُ جَدَّهُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ فِى الزُّهْدِ وَحُسْنِ التَّفْكِيرِ وَعَظَمَةِ الخُلُقِ ، وَالخَوْفِ مِنَ اللَّهِ فِى كُلِّ مايَقُولُ وَما يَفْعَلُ .

وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ خالِهِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ فِى عِلْمِهِ وَزُهْدِهِ ، وَصَلَاحِهِ وَتَقْوَاهُ .

عُمَرُ وَوَفْدُ التَّهْنِئَةِ :

تَوَلَّى عُمَرُ الخِلَافَةَ سَنَةَ ٩٩ مِنَ الهِجْرَةِ ، فَتَضايَقَ ؛ لِأَنَّ فِيها تَبِعَاتٍ عَظِيمَةً ، وَتَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفَها ، وَجاءَ إِلَيْهِ الشُّعَرَاءُ لِيُهَنِّئُوهُ بِقَصائِدِهِمْ ، فَلَمْ يَسْمَحْ لَهُمْ ، وَقالَ لِابْنِهِ : قُلْ لَهُمْ : "إِنِّى أَخافُ - إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى - عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ." (سورة يونس) .

وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ مِثْلَ غَيْرِهِ مِمَّنْ سَبَقُوهُ مِنَ الخُلَفاءِ الَّذِينَ كانُوا يُكْرِمُونَ الشُّعَرَاءَ كُلَّ الإِكْرَامِ لِيَمْدَحُوهُمْ فى شِعْرِهِمْ، فَلَمْ يُعْطِ جَرِيرًا الشَّاعِرَ إِلَّا أَرْبَعَةَ دَنانِيرَ، وَقالَ لَهُ: خُذْهَا فَإِنَّهَا وَاللَّهِ مِنْ مَالِى الخَاصِّ.

فَخَرَجَ جَرِيرٌ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ يَقُولُ لِلشُّعَرَاءِ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَلِيفَةٍ يَمْنَعُ الشُّعَرَاءَ (أَىْ لايُعْطِيهِمْ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِ الأُمَّةِ)، وَيُعْطِى الفُقَرَاءَ، وَإِنِّى عَنْهُ رَاضٍ (كُلَّ الرِّضَا).

وَجاءَ إِلَيْهِ وُفودُ (جماعات) كُلِّ بَلَدٍ لِتَهْنِئَتِهِ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَفْدُ أَهْلِ الحِجازِ، فَقامَ مِنْهُمْ غُلامٌ لِلْكَلامِ.

فَقالَ لَهُ عُمَرُ: ياغُلامُ يَجِبُ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ سِنًّا مِنْكَ.

فَقالَ الغُلامُ : ياأَميرَ المُؤْمِنِينَ ، إِنَّما المَرْءُ (الإِنْسانُ) بِأَصْغَرَيْهِ : قَلْبِهِ وَلِسانِهِ . فَإِذا مَنَحَ (أَعْطَى) اللّهُ العَبْدَ (الإِنْسانَ) لِسانًا لافِظًا (قادِرًا عَلَى التَّكَلُّمِ) وَقَلْبًا حافِظًا ، فَقَدِ اسْتَحَقَّ الكَلامَ . وَلَوْ كانَتِ الأُمورُ بِالسِّنِّ لَكانَ هاهُنا مَنْ هُوَ أَحَقُّ مِنْكَ بِمَجْلِسِكَ (بِمَكانِكَ) هٰذا

فَقالَ عُمَرُ : صَدَقْتَ . تَكَلَّمْ ، فَهٰذا هُوَ السِّحْرُ الحَلالُ . (أَى الكَلامُ الحَسَنُ .)

فَقالَ الغُلامُ : ياأَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، نَحْنُ وَفْدُ التَّهْنِئَةِ ، لاوَفْدُ التَّعْزِيَةِ (بِمَوْتِ ابْنِ عَمِّكَ سُلَيْمانَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ) .

وَلَمْ يَقْدُمْ (يَحْضُرْ) أَحَدٌ مِنّا إِلَيْكَ رَغْبَةً (فى طَلَبِ شَىْءٍ) وَلارَهْبَةً (خَوْفًا مِنْ شَىْءٍ) ؛

لِأَنَّنَا قَدْ أَمِنَّا فِى أَيَّامِكَ ماخِفْنَا ، وَأَدْرَكْنَا (نِلْنَا) ماطَلَبْنَا .

فَأُعْجِبَ عُمَرُ بِكَلَامِهِ ، وَسَأَلَ عَنْ عُمْرِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : عَشْرُ سِنِينَ .

فَقَالَ عُمَرُ : اِرْفَعُوا هٰذَا الغُلَامَ فَوْقَ مَرْتَبَتِهِ .

عُمَرُ قَبْلَ الخِلافَةِ :

كانَ عُمَرُ وَهُوَ شابٌّ يُحِبُّ النَّعِيمَ ، وَيُحْسِنُ اخْتِيَارَ المَلَابِسِ الغالِيَةِ ، وَالطَّعامِ اللَّذِيذِ ، وَالجَوادِ (الحِصانِ) العَرَبِيِّ الَّذِى يَرْكَبُهُ ، وَالعِطْرِ (الطِّيبِ) الَّذِى يَتَعَطَّرُ بِهِ مِثْلَ غَيْرِهِ مِنْ أَبْنَاءِ الأُمَراءِ وَالعُظَماءِ .

ماذا فعل عمر حينما تولّى الخلافة ؟

كانَ خُطَباءُ المَساجِدِ يَوْمَ الجُمُعَةِ يَخْتِمُونَ خُطَبَهُمْ بِلَعْنِ الإمامِ (العَظِيمِ العالِمِ) عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طالِبٍ - كَرَّمَ اللّهُ وَجْهَهُ - حَتَّى يُؤَثِّرُوا فِي النَّاسِ ، وَيُرَبُّوهُمْ عَلَى كَراهَتِهِ وَكَراهَةِ أَوْلادِهِ ، فَأَمَرَ عُمَرُ الخَلِيفَةُ العادِلُ بِتَرْكِ هٰذِهِ الجَرِيمَةِ القَبِيحَةِ ، وَأَنْ يَخْتِمُوا خُطَبَهُمْ بِقَوْلِ اللّهِ تَعالَى :

" إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ (١) وَالإِحْسانِ (٢) وَإِيتاءِ (٣) ذِي الْقُرْبَى ، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشاءِ (٤) وَالْمُنْكَرِ (٥)

(١) التَّوْحِيد أو الإنصاف . (٢) أداء الفَرائض وَعِبادَة اللّه بإخلاصٍ .

(٣) التَّصَدُّق عَلَى الفُقراء مِنَ الأَقارِبِ . (٤) الزِّنَى .

(٥) الكُفْر وَالمَعاصِي .

وَالْبَغْىِ[١] ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ[٢] " سُورَةُ النَّحْل .

وَقَدْ جَمَعَتْ هٰذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ أَحْسَنَ الفَضائِلِ الَّتِى يَجِبُ أَنْ يُحافِظَ عَلَيْها الإِنْسانُ ، وَأَقْبَحَ الرَّذائِلِ الَّتِى يَجِبُ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْها .

فَهٰذِهِ أَجْمَعُ آيَةٍ فى القُرْآنِ الكَرِيمِ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ .

مُعامَلَتُهُ لِزَوْجَتِهِ وَأَوْلادِهِ :

وَكانَ عِنْدَ زَوْجَتِهِ فاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ المَلِكِ كَثِيرٌ مِنَ الجَواهِرِ الغالِيَةِ ، فَحَدَّثَها فى التَّنازُلِ عَنْها لِبَيْتِ المالِ ، فَأَجابَتْهُ إِلَى رَغْبَتِهِ ، بِنَفْسٍ راضِيَةٍ . وَصارَتْ مَثَلاً كَرِيمًا لِلتَّقْوَى وَالخَوْفِ مِنَ اللهِ كَزَوْجِها .

وَذاتَ يَوْمٍ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ ابْنَتُهُ لُؤْلُؤَةً ، وَرَجَتْهُ

(١) الظُّلْم لِلنَّاسِ . (٢) تَتَّعِظُونَ .

أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْها لُؤْلُؤَةً أُخْرَى مِثْلَها ، لِتَجْعَلَها فى أُذُنَيْها .

فَأَرْسَلَ لَها جَمْرَتَيْنِ مِنَ النَّارِ ، وَقالَ لَها : إِنِ اسْتَطَعْتِ أَنْ تَجْعَلِى هاتَيْنِ الجَمْرَتَيْنِ فى أُذُنَيْكِ أَرْسَلْتُ إِلَيْكِ لُؤْلُؤَةً أُخْرَى .

وَقَدْ بَلَغَهُ فى يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ أَنَّ ابْنًا لَهُ اشْتَرَى فَصَّ خاتَمٍ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَبِيعَ هٰذَا الخَاتَمَ ، وَيَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهِ ، وَيَشْتَرِىَ خاتَمًا آخَرَ بِدِرْهَمٍ ، وَيَنْقُشَ عَلَيْهِ : رَحِمَ اللّٰهُ امْرَأً عَرَفَ قَدْرَهُ .

وَيُحْكَى أَنَّ سَيِّدَنا عُمَرَ كانَ يُقَسِّمُ تُفَّاحًا لِلْمُسْلِمِينَ . وَحِينَما كانَ يُقَسِّمُهُ وَيُفَرِّقُهُ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ ، أَخَذَ ابْنٌ صَغِيرٌ لَهُ تُفَّاحَةً ، فَقامَ إِلَيْهِ عُمَرُ ، وَأَخَذَ التُّفَّاحَةَ مِنْ فَمِهِ ،

وَوَضَعَها فى التُّفاحِ .

فَذَهَبَ الوَلَدُ إِلَى أُمِّهِ وَهُوَ يَبْكِى فَلَمَّا عَلِمَت السَّبَبَ ، أَرْسَلَتْ إِلَى السُّوقِ ، فَاشْتَرَتْ لَهُ تُفَّاحًا .

فَلَمَّا رَجَعَ عُمَرُ شَمَّ رائِحَةَ التُّفّاحِ ، فَقالَ لِزَوْجَتِهِ : يافاطِمَةُ ، هَلْ أَخَذْتِ شَيْئًا مِنْ تُفّاحِ المُسْلِمِينَ ؟

فَأَجابَتْ : لا . وَأَخْبَرَتْهُ بِما حَدَثَ .

فَقالَ لَها : وَاللّهِ لَقَد انْتَزَعْتُها مِن ابْنِى ، فَكَأَنَّما انْتَزَعْتُها مِنْ قَلْبِى . لٰكِنِّى كَرِهْتُ أَنْ أُضيعَ نَفْسِى بِسَبَبِ تُفّاحَةٍ مِنْ تُفّاحِ المُسْلِمِينَ.

رَحِمَكَ اللّهُ ياعُمَرُ .